تجليات ظاهرة التخالف الصوتي

في اللغة العربية.

الدكتورة: سهل ليلى

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

جامعة محمد خيضر –بسكرة–

الملخص:

نميل في حياتنا العملية إلى مبدأ السهولة والتيســير للوصول إلى مقاصدنا الغرضية سعيا وراء تحقيق أفضل النتائج، فجاءت هذه الدراسة لتوضح تجليات ظاهرة التخالف الصوتي في اللغة العربية ودورها في تحقيق سهولة النطق واقتصاد الجهد، لهذا نلحظ أن الكثير من الممارسات اللغوية تتجه إلى تحقيــق الحدود العليا من الأثر عن طريق اختزال بعــض الجهود المبذولة.

RÉSUMÉ:

Nous avons tendance dans notre processus de commande sur le principe d'un accès facile et à la facilitation de nos dédiée à la poursuite d'obtenir de meilleurs résultats, l'étude vient de montrer manifestations du phénomène différence voix dans la langue arabe et son rôle dans la réalisation de la facilité de prononciation et de l'économie d'efforts , Pour ce que beaucoup de pratiques linguistiques ont tendance à la frontière suprême impact grâce à certains efforts de réduction.

الطلمات المفتاحية : الصوت، المخالفة ، المماثلة ، التيسير

يذهب كثير من المعنيين بالبحث اللغوي إلى أن الجانب المنطوق في اللغة يمتلك القدرة على ممارسة حرية الحركة الانسيابية أكثر مما عليه جانبها المكتوب، فضلا عن طبيعة اللغة في تركيبها الصوتي وبنيتها التي تمر بمسارب سياقية واسعة، لا تظهر في سلسلة الجوانب المكتوبة فيها. ولعل مرد ذلك أن اللغة بطبيعة أصواتها المنطوقة تخضع لكثير من النمو والاتساع.

و ترتبط التغيرات الصوتية بالسياق الصوتي، وتحددها طبيعة الفونيمات المحيطة بالفونيم المتغير. وتظهر في صور عديدة منها ظاهرة التخالف الصوتي أو المخالفة الصوتية.

مفهوم المخالفة الصوتية: Dissimilation:

يعني المصطلح حدوث اختلاف بين صوتين متماثلين في الكلمات المشتملة على التضعيف، وذلك بأن يتغير أحد الصوتين المضعفين إلى أحد أصوات المد: الألف والواو والياء أو أحد الأصوات الشبيهة بها وهي الأصوات المتوسطة أو المائعة اللام والراء والنون والميم[1].

و لقد نشأت هذه الظاهرة بسبب الثقل الناشئ عن تجاور صوتين من مخرج واحد، ولعل ذلك يبدو واضحا من خلال قول "ابن جني":"و من ذلك استثقالهم المثلين حتى قلبوا أحدهما)، ووصفه في موضع آخر بـ : (استثقال تكريره)، وصرّح أيضا بعبارة التخفيف إذ قال: " فأما أمليت فلا إنكار لتخفيفه بإبداله".

فإن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى مجهود عضلي للنطق بهما في كلمة واحدة، ويتيسر هذا الجهد العضلي بقلب أحد الصوتين إلى تلك الأصوات التي لا تستلزم مجهودا عضليا.

فعلماء العربية قد فطنوا مبكرا إلى هذه الظاهرة وبالتحديد في عهد "الخليل بن أحمد الفراهيدي" (ت175هـ) فقد أدركها هذا الرجل وأطلق عليها المصطلح الشائع في عصرنا غير أنه استعمل صيغة الفعل منه، فقد قال: "وأما "مهما" فإن أصلها "ماما" ولكن أبدلوا من الألف الأولى "هاء" ليختلف اللفظ[5].

"فالخليل بن أحمد" استعمل الصيغة الفعلية (يختلف) للمصطلح الذي أقره مجمع اللغة العربية في القاهرة وهو "التخالف"[6]. وتوالت ملاحظات علماء العربية بعد "الخليل بن أحمد"، من ذلك: قول "أبي عبيدة"

أن العرب تقلب حروف المضاعف إلى ياء[7]، وقول المبرد في حديثه عن الياء (وتبدل مكان أحد الحـــرفين إذا ضوعفا)[8].

و من الأقوال هذه يتبين لنا أنهم حددوا الظاهرة باجتماع حرفين متماثلين نطقا بصوت واحد مشـــدد أبدل أحدهما ب(ياء) أو (واو).

و كما يعتبر أيضا الدكتور "إبراهيم أنيس" خير من صوّر واقع ظاهرة التخالف بصورة عامة بقوله: (...إننا نلحظ أن كثيرا من الكلمات التي تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة يتغير ؛أحد الصوتين إلـــى صوت لين طويل –و هو الغالب– أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين في بعض الأحيان)[9].

ثم عرض إلى الأصوات التي تبدل، فقال: (إذا علمنا أن أشق الأصوات هي المطبقة والرخوة بوجـــه عام، أدركنا أن المخالفة لا تكاد تتم إلا حين يتجاوز صوتان متماثلان من أصوات الإطبـــاق أو الأصـــوات الرخوة)[10].

و جاء في لسان العرب وخبخبوا: أبردوا، وأصله: خبّبوا، بثلاث باءات أبدلوا من الباء الوسطى خاء، للفرق بين فعّل وفعلل، وإنما زادوا الخاء من سائر الحروف، لأن في الكلمة خاء، وهذه علة جميع ما يشبهه من الكلمات[11].

و جاء فيه كذلك: ومن العرب من يقلب أحد الحرفين المدغمين ياء، فيقول في مرّ: مير وفـــي زرّ: زير وفي رزّ: ريز[12]، ومن العرب من يقول حفظ وليس ذلك، بمقصود، إنما هو غنة تلحقهم في المشـــدد، بدليل أن هؤلاء إذا جمعوا قالوا حظوظ. قال الأزهري:"و ناس من أهل حمص يقولون: حنظ، فـــإذا جمعـــوا أرجعوا إلى الحظوط وتلك النون عندهم غنة، ولكنهم يجعلونها أصلية وإنما يجيء هذا اللفظ على ألسنتهم في المشدد نحو: الرّزّ يقولون رنز"[13].

تجليـــــــات هذه الظاهرة:

يمكن رصف ألفاظ هذه الظاهرة في مجموعات:

المجموعة الأولى: ما اجتمع في كل من ألفاظها صوتان متماثلان لا يفصل بينهما فاصل من حركة أو حرف فأبدل أحدهما بصوت آخر، فتحقق التخالف الصوتي بين المتماثلين من ذلك[14]: أترجّه واترنج، أما وأيمـــا، خرّوب وخرنوب، دبّاج وديباج، دمّاس وديماس، دنّار ودينار، دوّان وديوان، قرّاط وقيراط.

المجموعة الثانية: ما اجتمع في كل ألفاظها ثلاثة أصوات متماثلة، أبدل الثالث منها بصوت جديد قد تحقـق التخالف[15].

المجموعة الثالثة: ما اجتمع في كل من ألفاظها صوتان متماثلان يحجز بينهمـــا حـــاجز وعـــوملا معاملـــة المتجاورين فأبدل أحدهما وتحقق التخالف بين الصوتين المتماثلين على تباعدهما من ذلك: حـــداء وحـــداد، سادس وسادي، هذه وهذي، دهدت ودهديت، صهصت وصهصيت.

المجموعة الرابعة: ما اجتمع في كل ألفاظهما أصوات متماثلة أبدلوا أواسطها من ذلك زلزل مـــن زلّـــل – تجفجف من تجفّف، صرصر من صرّر، كبكب من كبّب، كركر من كرّر، تململ من تملل.

فأصل ألفاظ هذه المجموعة قد اجتمع فيها ثلاثة أصوات متماثلة مما أدى إلى نوع من ثقل النطق لذا جنحوا إلى التخالف، وهذا لكراهية اجتماع ثلاثة أحرف من جنس واحد[16].

و مثال المخالفة بين السامية الأم والعربية كلمة (شمس) فهي السامية الأولى (شمش) كما في العبرية والآرامية، والمعروف لدى علماء الساميات أن (الشين) في السامية الأم قلبت في العربية (سينا)، ومقتضـــى ذلك أن تصير الكلمة في العربية سمس غير أن المخالفة بين السينين أدت إلى قلب الأولى شينا[17].

و مثل ذلك في العربية (قيراط) و(دينار) بدلا من (قراط) و(دنّار) بدليل الجمع (قراريط) و(دنانير)، ويقول المبرد في هذا: والدليل على أن هذا إنما أبدل لاستثقال التضعيف قولك دينار وقيراط والأصل: دنّـــار وقرّاط، فأبدلت الياء للكسرة فلما فرقت بين المتضاعفين رجع الأصل، فقلت دنانير وقراريط وقريريط[18].

و كان الناس في القرن الثاني الهجري في العراق يقولون في إجّاص وفي أترجّ، أترنج، كما كان أهل الأندلس يقولون كرناسة في كراسة، كما كانوا يطلقون على الأسد كلمة (عَدَنبس) بدلا من الكلمة القديمة (عدبّس) وكانوا يقولون تقعور بدلا من الفعل (تقعّر)[19].

و لعلنا بقانون المخالفة نستطيع أن نفسر ذلك الإبدال الظاهري في كلمتي (زحلوفة) و(زحلوقة) فقول الأصمعي "الزحاليف والزحاليق: أثار تزلج الصبيان من فوق طين أو رمل ،فأهل العالية يقولون زحلوفة وزحاليف وبنو تميم ومن يليهم من هوازن يقولون زحلوقة وزحاليق. فالظاهر أن الكلمة الأولى زحلوفة مأخوذة من الفعل "زحلف" الناتج بطريق المخالفة الصوتية من (زحّف) كما أن الكلمة الثانية زحلوقة مأخوذة من الفعل "زحلق" الناتج بطريق المخالفة الصوتية كذلك من الفعل "زلّق"[20].

و من قواعد الصرفيين في العربية أن الواو تقلب همزة إذا تصدرت قبل واو متحركة مطلقا أو ساكنة متأصلة الواوية نحو (أواصل) و(أواق) فإن الأصل فيها (وواصل) وكذلك (وواق) لأنهما جمعان لكلمتي (واصلة) و(واقية) ففاء كل منهما واو، ويجري مثل ذلك في أنثى (الأول) وجمعها، فإن الأصل فيهما أن يكونا (وولى) و(وول) ولكنهما في العربية: أولى وأُوَل، وليس ذلك كله إلا أثرا من آثار المخالفة.

و من المخالفة الصوتية كذلك ما يسمى بالمخالفة الكمية بين المقاطع الصوتية ومن أمثلة ذلك ما يحدث لحركة ضمير المفرد الغائب في العربية الفصحى، فالأصل في هذه الحركة هو الضمة الطويلة ويحدث له المماثلة الصوتية مع الكسرات قبله مثل له: لهو وبه: بهي. كما تقصر حركته في العربية عن طريق المخالفة الكمية بين المقاطع فيقال مثلا: فيه بدلا من فيهي، ومنه بدلا من منهو[21].

و هناك المخالفة المتباعدة وتقع في الأصوات التي يفصل بينها فاصل من صوت آخر غير مناظر مثل[22]:اخضوضر ـــــــ أصلها اخضرضر

اعشوشب ـــــــ أصلها اعشبشب

بغداد ـــــــ أصلها بغدان

و يعلل الدكتور "أحمد مختار عمر" حركة المخالفة على أنها تهدف إلى تيسير جانب الدلالة بين الأصوات ولا تلقي بالا إلى العامل النطقي الذي قد يتأثر نتيجة تباعد أو تخالف الصوتين[23].

كما يسجل الدكتور "ابرهيم أنيس" أن المخالفة قد تكون في النادر من الأحيان بين الأصوات الشديدة مثل[24]: إجّاص ـــــــــ روي فيها إنجاص

دبّوس ـــــــــ روي فيها دنبوس

لعلّ ـــــــــ روي فيها لعنّ

و ابن جني يشير إلى ما سماه (إحالة الصنعة) فيقول في الخصائص:"و من ذلك قول العرب قصيت أظافري من لفظ قصص وقد أل بالصنعة إلى لفظ قصي"، وكذلك قوله: "تقضيّ البازي" إذ البازي كسر" وهو في الأصل في تركيب (قضض) ثم أحاله ما عرض من استثقال تكريره إلى لفظ (قضي)[25].

و كما تتأثر الصوامت بعامل المخالفة كذلك هي الصوائت حيث تجري وفق قوانينها، ولعل الغاية من ذلك تحقيق التيسير النطقي في أقصى درجته حين الابتعاد عن النطق المتوالي لحركات متحدة الصيغة البنائية. فجمع المؤنث السالم يأتلف بإضافة صائت طويل مع التاء الشديدة المهموسة (آت) وقد أثر عن العرب في تقعيدهم لهذا النوع من الجموع أنه ينصب بالكسرة نيابة بدلية عن الفتحة، وإنه تتساوى فيه حالتا النصب والجر. ولعل السر فيما يبدو وهو تلك المتوالية التركيبية من الفتحات التي غيرت متجهها من الاستعلاء إلى الاستفال[26].

و من خلال ما سبق نلاحظ أن ظاهرة التخالف الصوتي تحقق للمتكلم سهولة النطق والاقتصاد في الجهد لأن نطقه بالصوت المضاعف يتطلب مجهودا عضليا أكبر مما لو قُلب أحد الصوتين إلى صوت مد، أو صوت من الأصوات الشبيهة بها أو كما يقول فاندريس:"أن يعمل المتكلم حركة نطقية مرة واحدة وكان من حقها أن تُعمل مرتين"[27].

و يبدو هو ذا السبب في عزوف المتكلمين عن بعض الصور النطقية إلى أخرى سواها، سعيا وراء تحقيق مبدأ السهولة والتيسير. فيُنظر إلى هذه الظاهرة على أنها الوضع الأمثل اللازم لإعادة الخلافات بين

الأصوات، الأمر الذي لا يمكن الاستغناء عنه في إظهار قيم الفونيمات الاستقلالية، وهـو أمـر ضـروري لتحقيق حالة التوازن وتقليل المد التأثيري للماثلة.

قائمة المصادر والمراجع:

(1) صبيح التميمي، دراسات لغوية في تراثنا القديم، صوت صرف نحو دلالة، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2003، ص176.

(2) ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2، 1956، ج2، ص231.

(3)المصدر نفسه، ص90.

(4)المصدر نفسه، ص232.

(5)الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق د مهدي المخزومي، بغداد، 1986، ص358.

(6)الأصوات اللغوية،عبد القادر عبد الجليل ، ص 67.

(7)ابن السكيت، الإبدال، ص133.

(8)المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، القاهرة، 1963، ج1، ص200.

(9)إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، القاهرة، 1995، ص214.

(10)المرجع نفسه، ص213.

(11)ابن منظور، لسان العرب، مادة (خ ب ب) ج1، ص333.

(12)المصدر نفسه، مادة (زور)، ص425.

(13)المصدر نفسه، مادة (ح ظ ظ) ج9، ص319.

(14)الأصواتاللغوية،عبد القادر عبد الجليل، ص69.

(15)المرجع نفسه، ص70.

(16)المرجع نفسه، ص73.

(17)رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره علله وقوانينه، دار الرفاعي، الرياض، ط1، 1989، ص37.

(18)المبرد، المقتضب، ص24.

(19)أبو بكر الزبيدي، لحن العوام، تحقيق الدكتور رمضان عبد التراب، القاهرة، 1967، ص35.

(20)رمضان عبد التواب، المرجع السابق. ص40.

(21)رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، ص44.

(22)عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 98، ص297.

(23)أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، القاهرة، 1991، ص384.

(24)إبراهيم أنيس، الأصوات للغوية، ص214.

(25)ابن جني، الخصائص، ص90.

(26) عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص295.

(27) فاندريس، اللغة، ص94. نقلا عن: صبيح التميمي، دراسات لغوية في تراثنا القديم، ص176.